مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة

علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

السنة الثالثة

الرقم الدولي
٢٣٠٤ - ٩٣٠٨

العدد ٥

الرقم الدولي
٢٣٠٤ - ٩٣٠٨

مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة

علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

تصدرها كلية الشيخ الطوسي الجامعة – النجف الأشرف/العراق

السنة الثالثة / العدد (٥)

(شعبان/رمضان ١٤٣٩هـ، آيار ٢٠١٨م)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢١٣٥) لسنة ٢٠١٥م

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جهاز الاشراف والتقويم العلمي
قسم التعليم الاهلي

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الكتاب : ج ه/ ٦٤٨٧
التاريخ / ٨ /١١/ ٢٠١٢

كلية الشيخ الطوسي الجامعة

م/ محضر مجلس الكلية بجلسته الثانية للعام الدراسي ٢٠١٢/٢٠١٣
المنعقدة بتاريخ ٢٠١٢/٩/٢٩

تحية طيبة...

الحاقا بكتابنا المرقم ج ه/٦١٠٠ في ٢٠١٢/١١/٥ ، بشان الفقرة (١/١٠/اولا:الشؤون العلمية) من محضر مجلس الكلية بجلسته الثانية للعام الدراسي ٢٠١٢/٢٠١٣ ، نود اعلامكم الى انه بالامكان اعتماد مجلة الكلية لاغراض الترقية العلمية وفق الية اعتماد المجلات الصادرة عن الكليات الاهلية والجمعيات العلمية لاغراض الترقية العلمية والتي يمكن الاطلاع عليها على موقع دائرة البحث والتطوير (www.rddiraq.com)

للتفضل بالاطلاع واتخاذ مايلزم...مع التقدير.

المحاسب القانوني
حيدر محمد درويش
ع/رئيس جهاز الاشراف والتقويم العلمي
٢٠١٢/١١/١٤

نسخة منه الى//
- ✓ مكتب رئيس الجهاز/للتفضل بالاطلاع..مع التقدير.
- ✓ دائرة البحث والتطوير / مذكرتكم ب ت م٤/١٠٥٤٣ في ٢٠١٢/١١/٨...مع التقدير .
- ✓ جهاز الإشراف والتقويم العلمي/قسم التعليم الاهلي/شعبة المحاضر/ مع الاوليات.
- ✓ الصادرة .

البريد الالكتروني: mhesses @ yahoo.com

رئيس التحرير

أ.د. قاسم كاظم الأسدي

مدير التحرير

أ.م.د. خالد كاظم حميدي

هيأة التحرير

أ.م.د. زهير عبد المجيد الخواجة أ.م.د. سعدية كريم الخواجة

أ.م.د. فاضل محمد الزبيدي أ.م.د. عبد الله شاكر الشيباني

التصحيح اللغوي

م.د. هاشم جبار الزرفي

الإشراف الفني

السيدة فاطمة محمد صاحب

الإدارة المالية

السيد رائد جاسم محمد

اللجنة الاستشارية

أ.د.حسن عيسى الحكيم:رئيس جامعة الكوفة سابقا/العراق.

أ.د.زهير غازي زاهد:الكلية الإسلامية . النجف الأشرف/العراق.

أ.د.سعد عبد العزيز مصلوح:جامعة الكويت/الكويت.

أ.د.عبد القادر فيدوح:جامعة قطر/قطر.

أ.د.حبيب مونسي: جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس/الجزائر.

أ.د.حاكم حبيب الكريطي: جامعة الكوفة/العراق.

أ.د.بشرى البستاني: جامعة الموصل/العراق.

أ.د.أحمد رشراش: جامعة طرابلس/ليبيا.

أ.د.سرور طالبي المل: رئيس مركز جيل البحث العلمي/لبنان.

أ.د.هادي حسين هادي: جامعة الكوفة/العراق.

أ.د.حسن مجيد العبيدي: الجامعة المستنصرية/العراق.

تعليمات النشر في مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة

١.أنْ لا يكون البحث قد نُشِر أو قُبِل للنشر في مجلة داخل العراق أو خارجه، أو مستلا من كتاب أو محمّلا على شبكة المعلومات العالمية.

٢. أنْ يضيف البحث معرفة علمية جديدة في حقل تخصصه.

٣. أنْ يرعى البحث قواعد المنهج العلمي، ويُرتّب على النحو الآتي: عنوان البحث/ اسم الباحث بذكر درجته العلمية، ومكان عمله/ خلاصة البحث باللغتين العربية والإنجليزية لا تتجاوز أيّ منهما مئتي كلمة/ المقدمة/ متن البحث/ الخاتمة والنتائج والتوصيات/ الهوامش نهاية البحث/ ثبت بالمصادر والمراجع.

٤. يخضع البحث للتحكيم السري من الخبراء المختصّين لتحديد صلاحيته للنشر، ولا يعاد إلى صاحبه سواء قُبِل للنشر أم لم يُقْبل، ولهيأة التحرير صلاحية نشر البحوث على وفق الترتيب الذي تراه مناسبا.

٥. تقدم البحوث مطبوعة باستخدام برنامج (Microsoft word)، بخط (Simplified Arabic) للغة العربية، وبخط (Time new roman) للغة الإنجليزية، بحجم (١٤) للبحث و(١٢) للهوامش.

٦. تنسيق الأبيات الشعرية باستعمال الجداول .

٧ . تسحب:(الخرائط، الرسوم التوضيحية، الصور) بجهاز (اسكنر) وتحمّل على قرص البحث.

٨ . يقدم الباحث ثلاث نسخ من بحثه مطبوعة بالحاسوب، مع قرص مضغوط (CD).

٩. لا يعاد البحث إلى الباحث إذا ما قرر خبيران علميان عدم صلاحيته للنشر.

١٠. ترتيب البحوث في المجلة يخضع لأمور فنية.

المراسلات

توجه المراسلات الرسمية إلى مدير تحرير المجلة على العنوان الآتي:

جمهورية العراق . النجف الأشرف . كلية الشيخ الطوسي الجامعة.

موقع المجلة على الانترنت: www.altoosi.edu.iq/ar

البريد الإلكتروني:mjtoosi3@gmail.com

نقال: ٧٨٢٧٩٦٩٣٢٦ (٠٠٩٦٤)

صندوق بريد: (٩).

تطلب المجلة من كلية الشيخ الطوسي الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية:

﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

حرصت مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة في أعدادها السابقة وفي هذا العدد أيضا على تناول موضوعات علمية ومشاكل بحثية تتسم بالجدّة، وتسعى إلى حلِّها عن طريق اعتماد بحوث علمية اتسمت مناهجها بالدقة والوضوح.

وقد تركّزت عناية هذا العدد على معالجة قضايا لسانية مهمة، لعلّ من أبرزها قضية الفصيح والعامي في استعمال اللغة على المستوى النفعي والجمالي، وما لهذا الموضوع من تعقيدات فكرية وثقافية تمسّ الواقع اللغوي للمجتمع العربي، وكذلك تضمّن العدد بحوثا سعت إلى الكشف عن مناهج نقدية وجمالية جديدة تحاول أن تكشف خبايا النصّ الأدبي من زوايا نظر جديدة، فضلا عن ذلك تضمّن العدد بحوثا أخرى في التاريخ والسيرة ولكنّها نحت منحى فكريا ابتداءً من العنوان؛ لاستخلاص العبر والتجارب العميقة لمعالجة القضايا المصيرية التي تُحيط بالمجتمع في الوقت الراهن.

نأمل أن يلقى هذا العدد قبولا حسنا عند القراء الكرام ونحن بانتظار ما يرشح عنهم من ملحوظات ونقد علمي يصبّ في مصلحة المجلة.

مدير التحرير

المحتوى

الافتتاحية.....	٩
اللسانيات	
عنوان البحث	**اسم الباحث**	**مكان عمله**	**الصفحة**
مشكلة الفصاحة في اللغة العربية بين ثوابت النظام اللغوي ومتغيراته	د. كمال قادري	جامعة محمد الأمين دباغين/ الجزائر	١٣
التعدد اللساني وأشكاله، دراسة مفاهيمية	أ. عبد القادر علي زروقي، أ.د. محمد عباس	جامعة تلمسان/ الجزائر	٧٣
الصراع اللغوي في الجزائر بين الازدواجية والثنائية اللغوية	أ. حورية بن يطو	المركز الجامعي، أحمد زبانة غليزان/ الجزائر	١٠٣
إشكالية المعنى من التفسير إلى التفكير النحوي والبلاغي	د. صبيحة جمعة	المعهد العالي للغات، جامعة قرطاج/ تونس	١٢٥

البلاغة الجديدة			
عنوان البحث	اسم الباحث	مكان عمله	الصفحة
بلاغة المناظرة، مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس أنموذجا	د. عبد الوهاب صديقي	جامعة ابن زهر، أكادير/ المغرب	١٦١
مشروع عماد عبد اللطيف من قراءة التراث البلاغي إلى بلاغة الجمهور	د. مصطفى عطية جمعة جودة	كلية التربية الأساسية/ جامعة الكويت، الكويت	١٩٥
الأدب ونقده			
عنوان البحث	اسم الباحث	مكان عمله	الصفحة
ظاهرة التهجين اللغوي في الشعر الجزائري المعاصر	د. زهيرة بولفوس	جامعة الإخوة منتوري . قسنطينة١/ الجزائر	٢٣٥
تجريب تداخل القصة القصيرة جدا مع التقنيات السينمائية	د. إيمان مليكي	جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة/ الجزائر	٢٦٧

تجربة التخييل الذاتي Auto- Fiction في الرواية الجزائرية	د. فايد محمد	المركز الجامعي، تيسمسيلت/ الجزائر	٢٩٥
المفاضلة بين اللغة الفصيحة واللغة العامية في المسرح العربي	د. عبد العزيز بوشلالق	جامعة محمد بوضياف/ الجزائر	٣١٩

التاريخ والسيرة

عنوان البحث	اسم الباحث	مكان عمله	الصفحة
إدارة التنوع الديني في عصر الرسالة	أ.د. صادق شاكر محمود المخزومي	الكلية التربوية/ النجف الأشرف، العراق	٣٤١
وحدة المسلمين عند أهل البيت (ع)	م.د. محمد خضير عباس	كلية الشيخ الطوسي الجامعة/ النجف الأشرف، العراق	٣٩٣
الآثار الإسلامية والعمرانية للإسكندرية والقاهرة في رحلة ابن بطوطة	م. عبد الأمير عيسى الأعرجي	الجامعة الإسلامية/ النجف الأشرف، العراق	٤٤٥

مشروع عماد عبد اللطيف من قراءة التراث البلاغي إلى بلاغة الجمهور

د. مصطفى عطية جمعة جودة
كلية التربية الأساسية ــ الهيأة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب/ الكويت

مشروع عماد عبد اللطيف من قراءة التراث البلاغي إلى بلاغة الجمهور

د. مصطفى عطية جمعة جودة
كلية التربية الأساسية ــ الهيأة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب/ الكويت

ملخّص:

إنَّ الهدف من هذه الدراسة تقديم رؤية شاملة لمشروع عماد عبد اللطيف البحثي حول بلاغة الجمهور وما يتصل بها من نقد خطاب السلطة واستجابة الجمهور، وتلقيهم الإيجابي، وإبداعاتهم الموازية المتمثلة في التعليقات والنكات وسائر الإبداعات القولية والفنية؛ بهدف التعرف على الإضافات العلمية: تنظيرا وتطبيقا، والتأمل النقدي لأبعاد هذا المشروع، والذي جاء في مسار ممتد منذ سنوات عديدة، تعمق في محطات عديدة، لم يكتف صاحبه بالتنظير، وإنما ربط التنظير بالتطبيق، والفكرة بالمثل، مما جعل المشروع مكتملا في أبعاده، متعددا في اتجاهاته، يضيف إلى الجهود السابقة، ويحدث تراكما معرفيا محمودا، ويفتح الآفاق للآخرين للمشاركة إما بتعميق مسارات فيه أو بالاسترشاد به أو بالإضافة عليه، لأنه مرتبط في الأساس بالهموم اليومية وما أكثرها، وبقضايا الوطن، والأمة، وما أقساها.

وقد جاء بحثنا في ثلاثة محاور، يجمعها رؤية مشتركة محورها: مشروع عماد عبد اللطيف في تحليل الخطاب، المرتكز على منهجيات تحليل الخطاب، وما يتصل بها من مهارات البلاغة الجديدة التي رصدها في واقع الحياة اليومية، وأشكال مواجهة الجمهور لسلطة الخطاب، ورد فعله على خطابات

السلطة، وهو يتصل بشكل عام بنظريات التلقي/ الاستجابة، من قبل المفكرين، والعلماء، أو العامة.

تطرق المحور الأول إلى تلقي التراث البلاغي، ليكون تأسيسا في بدايات المشروع، يستهدف إعادة النظر في التراث البلاغي العربي القديم، واقتراح خارطة اصطلاحية جديدة، تنجينا من الإغراق في التنازعات، واختلافات القدامى، لكي تكون مفاهيم البلاغة القديمة حاضرة في الوعي البلاغي والجمالي المعاصر.

أما المحور الثاني، فيتناول" البلاغة الجديدة وواقع الخطاب السياسي"، وفيه نماذج من التطبيقات التي اضطلع الباحث بها، وهدفت إلى الخروج من نمطية الدراسات البلاغية والنقدية التي تركز على الأعمال الأدبية فقط، فهو ساع إلى تأمل واقع القول، والكلم، والخطابات المختلفة التي يبثها الجمهور في وسائل، ووسائط كثيرة، فصحى كانت أو عامية، كلمات أو رسومات أو أغاني..، فالهدف الرؤية الإيجابية لكل أشكال الخطاب ومصادره، بدون الانحصار في نخبوية الإبداع، أو الاستسلام لخطاب السلطة الموجه، والذي يحمل في مجتمعنا التسلط والاستعلاء والقهر.

وتناول المحور الثالث "بلاغة الجمهور واستجابته النقدية" وفيه المزيد من تسليط الضوء على كيفية تنمية الوعي النقدي لدى الجمهور خلال استقباله لأنماط الخطابات السلطوية، وعدم الانجرار إلى تعبيراتها المضللة، وكيف يكون رد الفعل الجماهيري إيجابيا عليها، وأيضا دراسة جماليات الخطاب الجماهيري ذاته، وهو خطاب عفوي وارتجالي، إلا أنه حاوٍ لكثير من الجماليات والبلاغة الجديدة الواجب دراستها، كما أنه تعبير تلقائي ومباشر عن مواقف الجمهور من السلطة وقراراتها.

فيمكن النظر في مشروع الباحث البلاغي الدكتور عماد عبد اللطيف على أنه يقدم تجربة ثرّة في استراتيجية تحليل الخطاب عامة، التي جاءت موزعة ما بين الدراسة في التراث البلاغي قديما، وقضايا البلاغة حديثا، فيما يمكن

تسميته العلم والأدب الرسميين/ النخبويين، وأيضا دراسة ما هو شعبي جماهيري: منطوقا أو مكتوبا.

وقد عمل الباحث في مشروعه وفقَ استراتيجية بحثية أساسها التعمق في تراث البلاغة العربية القديمة، والتنظير لنظريات الخطاب الحديثة، مع إنجاز الدراسات التطبيقية التي جاءت في أبعاد متقابلة، فهو يدرس سبل الإقناع والتأثير لدى منتج الخطاب السلطوي من ناحية، كما درس الاتجاه المقابل المتمثل في موقف الجمهور مستقبل الخطاب من ناحية أخرى على مستوى القول، والإشارة، والفعل، والحركة.

سيكون نهجنا في قراءة مشروع عماد عبد اللطيف معتمدا على القراءة ذات الرؤية الأفقية، التي تقيس الرؤية والهدف المقدم في ضوء المنجز العلمي المنتج، وتبحث فيما انتهجه الباحث في التدليل، والتعليل، والإبحار، والشمولية، وتغطية المشهد واستيفاء الأبعاد. وتُسائِل كتاباته أيضا فيما يتعلق بمدى ملامستها للواقع، وموضوعية الطرح. وأيضا أبرز الأشكال والأنماط التي احتوت الخطاب، في ضوء أن باحتنا لم ينكفئ على المدوّن والمكتوب، وإنما تجاوزه إلى دراسة كل ما له علاقة بالتعبير عن مكنونات الأذهان، وما يعتمل في العقول، فجاءت تحليلاته مستفيدة من مدارس النقد الثقافي، والاجتماعي، والنفسي، ومحتفية أيضا بالجمالي، والبلاغي.

Abstract :

This paper critically examines many issues in The Project Of Emad Abd Latief , as he created and presented several studies and books. First, How receive rhetoric heritage in the Arabic Heritage in our contemporary consciousness , away from the differences of old Arabic critics.

In the second issue, it will concern new rhetoric and the relation with reality political speech , in the lot of political practices in the Arab World. Third issue studies Rhetoric of Public and Critical reception to forms of political power.

المحور الأول: تلقي التراث البلاغي:

وهي القراءة المهتمة بالنظر في التراث البلاغي العربي من خلال التعاطي الإيجابي معه، انطلاقا من منهجية تحليل الخطاب ؛ بغية الإفادة من المنجز البلاغي القديم، وإعادة إنتاجه معرفيا، ويتم ذلك بقراءة بعض الظواهر البلاغية، ومراحل تشكلها، تأسيسا على بعدين: بعد يرنو إلى منبت الظاهرة بلاغيا في القرآن والمباحث البلاغية المتصلة به ؛ وبعد آخر ينظر إلى التأثيرات الفكرية والمعرفية المختلفة في الدراسات البلاغية القديمة، ومساهمة في تطوير الاصطلاح.

أما عن علاقة هذه الدراسة بمشروع عماد عبد اللطيف، فهو يعبر عن أحد وجوهه ألا وهو قراءة التراث البلاغي من منظور تحليل الخطاب، وإن كان محصورا في كتابات البلاغيين القدامى، نظريا وتطبيقيا.

وهذا نجده في دراسته المعنونة بـ " تحليل الخطاب البلاغي: دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف"، في ميدان شديد الخصوبة وهو قراءة ظاهرة بلاغية في تجلياتها وتطبيقاتها في علوم عديدة في التراث الإسلامي، لا تتوقف عند البلاغة فحسب، وإنما تنظر إلى تواجد المصطلح وانتقاله بين علوم عديدة، وكيف اختلف الاستخدام والتوظيف الآن. ونرى أن هذا الكتاب يفتح آفاقا جديدة في قراءة التراث القديم عامة والبلاغي واللغوي منه خاصة من منظور التقاطعات الثقافية والمعرفية المختلفة، ليخرج الباحث من التخصص الدقيق إلى آفاق واسعة تتصل بالأبعاد الثقافية والحضارية ذاتها وهو يتعامل مع المصطلحات والظواهر المختلفة، مما يتيح مدى رحبا للتفكير فيما يمكن تسميته بـ "الحاضنة الثقافية والحضارية للمصطلح/ الظاهرة "، وبعبارة أخرى: نقرأ المصطلح/ الظاهرة في إطار ثقافي حضاري تراثي، وليس في الكتب التراثية المعنية فقط، وربما يكون هذا سببا من أسباب جمود كثير من الباحثين، الذين انحصرت جهودهم في إعادة إنتاج العلوم القديمة، بكل مصطلحاتها وخلافاتها

لضمان انتقالها إلى الأجيال الجديدة وتوريث العلم و تدوير المعرفة. أما إذا نهجنا النهج المقترح، فإننا سنقرأ العلم وندرسه وندرّسه في إطار ثقافي حضاري شامل، ينظر إلى التراث وعلومه ومصطلحاته ضمن منهج دائرية المعرفة وحضارتها.

وهو ما أدركه الباحث عماد عبد اللطيف، وعززه بالإضافة عليه، مؤكدا أن هناك علاقة تضامنية بين حركة المصطلح وحركة الفكر البشري، فالمصطلح مثل الكائن الحي يعتريه الضعف والانهيار والموت، ولا يمكن النظر إليه بوصفه خطًا صاعدا مستقيما لا يعرف الانحناء ولا الالتواء، فهو ليس دائما في حالة نمو[1].

ويركز على الوظائف البلاغية في انتاج الجمالية، وتقويضها ضمن اشتغاله البحثي على المصطلح البلاغي، وتأثير تلك الوظائف في المخاطَب، مستندا في ذلك إلى كتب البلاغيين القدامى. فيقرر في المقدمة أن جهده في هذا الكتاب ينتمي إلى تيار " البلاغة الشارحة "، عبر مقاربة القضايا الأساسية لحقل البلاغة بأكملها انطلاقا من تقديم تحليلات فاحصة للكتابات العربية، حول أحد أشهر الأساليب في البلاغة العربية، وهو أسلوب الالتفات. والفرضية التي ينطلق منها الكتاب هي تحليل ظاهرة بلاغية وهي "الالتفات" بوصفه خطابا جزئيا يقع في إطار خطاب أكبر وهو خطاب البلاغة العربية[2].

وإنْ كُنّا نتحفظ على تعبير " البلاغة الشارحة "، لأن الإضافة العلمية المتحققة في الكتاب، تتجاوز مفهوم شرح البلاغة، إلى تحليل الخطاب البلاغي بمنهجية معاصرة، وتلك رؤية جديدة في الدرس البلاغي، ترتقي فوق الدراسات السابقة في التراث البلاغي العربي المعنية بشرح الظاهرة البلاغية ورصدها في التراث.

فهو يتتبع نشأة المصطلح وتطوره بلاغيا؛ من خلال النظر إلى المصطلح / الظاهرة بوصفها نقطة تلاق، وتقاطع في علوم البلاغة. بمعنى أنه يقف عند الظاهرة، ويرصد أوجه التشابكات والعلاقات التي اجتمعت حولها، ضمن

المنهجية المعاصر لتحليل الخطاب Analysis Discourse "، والتي تنظر إلى أوجه التفاعل كما تبدو في الخطاب / الخطابات مع فكرة ما أو طرح أو ظاهرة، فأي شكل من أشكال اللغة يسوقه المتكلم سواء أكان محكيا أم مكتوبا، إنما يسوقه لغرض تواصلي معين في سياق معين، فالمعاني كامنة في الأدوات، والسبل التي يستخدمها منشئ الخطاب في التدليل على رؤاه، ولتحقيق مقاصده ونواياه[٣]. فالمتكلمون/ المؤلفون يقيّمون عملية تواصل (أيا كانت طبيعتها)، ويطرحون فرضيات وموضوعات، ويضعون المعلومات التي بحوزتهم في بنية معينة، كما يقومون بعملية "الإحالة "، أما عملية التأويل والاستنتاج فهو وظيفة المتلقي / القارئ، ضمن سياقات التواصل. فمن المهم في تحليل الخطاب دراسة القوالب اللغوية ومظاهر الانتظام في توزيعها من جهة، ودراسة المبادئ التي تقوم عليها عملية الفهم، التي تنتج المعنى في النهاية[٤].

ومن أبرز سبل تحليل الخطاب النظر إلى عملية " الإحالة " من حيث كونها العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات، وهي التي يقوم بها المتكلم، عندما يستعمل تعبيرا ما يختاره ويسوقه، فهو يحمّل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية الإحالة، وكلها خاضع لرؤية المتكلم وقصديته[٥]، أما دور السياق في عملية الفهم فهو منحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، ويساعد في التوصل إلى المعنى المقصود[٦] في ضوء تحليل الشواهد والأمثلة المساقة.

إنّ هذا المنظور ينقلنا إلى أفق جديد في الدراسات البلاغية عامة، يتمثل في التعامل مع تراثها الزاخر بوصفه خطابات تكونت في سياقات ثقافية وزمنية وحضارية مختلفة، وفي كل مرحلة هناك الجديد المضاف، مما يتيح للباحث التأمل في الظاهرة البلاغية في تقاطعاتها المعرفية المتعددة، وكيف ساهمت في تشكيلها، وإضافة المزيد إلى حمولاتها الدلالية، ورصد أبعاد فهم القدامى للظاهرة والمصطلح، وهل أسهمت دراساتهم في إنارته، وترسيخه، أو وجدت اضطرابا في الفهم،والتطبيق؟ فعندما يدرس الباحث الخطاب البلاغي في عصر

ما، فإنه لا يكتفي بما هو مبثوث في الكتب، وإنما يأخذ في حسبانه الأبعاد الثقافية، والحضارية، والمعرفية التي ساهمت في تكوين الخطاب، كي يتسنى فهمه بدقة.

وهذا ما قام به الباحث في دراسته، فقد رصد – ضمن دراسته لأسلوب الالتفات - تحولات الضمائر مع ثبات المرجع، ولاحظ اضطرابا فعليا في الخطاب البلاغي التعريفي، يتمثل في إطلاق أكثر من مصطلح على ظاهرة واحدة، وإحالة مصطلح واحد إلى أكثر من ظاهرة، فمن المهم الكشف عن عوامل إنتاج الاضطراب عبر نقد الخطاب البلاغي التعريفي، ومن ثم تأسيس إدراك علمي بالبنية الاصطلاحية البلاغية عبر الاستفادة من علم المصطلح في بلورة إجراءات منضبطة للبنى الاصطلاحية(٧). فالمستهدف هو الاشتغال على تكوين المصطلح من جهة، ومعرفة أسباب اضطرابه: فهما وتطبيقا من جهة أخرى، وصولا إلى إعادة تعريف للمصطلح ؛ تزيل اللبس في فهمه، من أجل تطبيق صحيح. فإذا كان هناك عوار أو تداخل في التنظير، فحتما سيكون هناك خلل في التدليل، والتطبيق.

وقد نظر عماد عبد اللطيف إلى مصطلح الالتفات في ضوء الدراسات القرآنية، واللغوية، والبلاغية ؛ مؤكدا أن التراث البلاغي يقدم ثمانية مصطلحات بخلاف الالتفات، مما يدل على اختلاف العلماء حوله، إذ شهد رفضا من جانب العديد من كبار علماء من منظور عقدي، وفضلوا تفسير النص بدون إطلاق مصطلح يصف الظاهرة، كما في مؤلفات أبي علي الفارسي(ت٣٧٧هـ)، وابن خالويه (ت٣٧٧هـ) والأزهري (ت٣٧١ هـ)، والعكبري (ت٦١٦هـ)وغيرهم، مؤكدين أنه لا يجوز على الله تعالى الالتفات، فرؤية علماء التفسير تثبت المفهوم، وترفض المصطلح، فما لا يجوز أن يحدث منه فعل الالتفات حركيا ؛لا يجوز أن ينسب إليه الالتفات نصيا. أما البلاغيون فقد نظروا إلى الالتفات بوصفه مصطلحا لغويا منقولا، بالعودة إلى دلالته المعجمية الأصلية التي تعني التفات الإنسان عن يمينه، وشماله، فهو يقبل

بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، وكذلك يكون الكلام بأن ينتقل من صيغة إلى صيغة أخرى. وقد تم البناء على هذا المفهوم لدى المتأخرين من خلال الانفتاح الذي تتيحه الدلالة المعجمية للكلمة. وكان الحل التوافقي من قبل البعض هو إطلاق مصطلحات أخرى تعنى بمفهوم تحولات الضمائر مثل: الانصراف، والصرف[٨].

إن التنازع الاصطلاحي هنا غير دال على الاضطراب كما تقدم، وإنما يثبت وجود الظاهرة، ويختلف في التسمية، وقد يكون تبديل الاسم هو الخيار البديل لدى البعض، وهذا عائد لأثر الرؤية الدينية في تلقي المصطلح، والتي تنزه الخالق العظيم عن الوصف البشري، ساعية إلى تنقية المصطلحات القرآنية مما يتعارض مع المفاهيم العقدية الراسخة، وإيجاد اتساق مفاهيمي، قيمي، عقدي.

وهناك سبب آخر للتنازع – بحسب عماد عبد اللطيف – يعود إلى تعدد الحقول المعرفية المشتغلة على الظواهر البلاغية، فكثير من هذه المصطلحات تكوّن، واكتمل في حقله المعرفي الخاص قبل انتقاله إلى البلاغة، وهذا ما أدى في النهاية إلى أن دلالة المصطلح تتحدد لصالح الوظيفة المتغيرة حسب العلوم، واشتغال المصطلح في حقول معرفية مختلفة، فالمفهوم ثابت لا جدال في ذلك، وإنما التعدد الاصطلاحي والدلالي متعدد بتعدد الانتماءات، والمرجعيات[٩]. وجدير بالذكر أن الباحث عماد عبد اللطيف يشير إلى أثر البيئة الجغرافية في صياغة مصطلح الالتفات، مستشهدا برأي الشيخ أمين الخولي، الذي أشار إلى استخدام الزمخشري (المشرقي) في تفسيره لسورة الفاتحة، ولكن صاحب كتاب "معالم الكتابة" ابن شيث القرشي " يفضل تسميته بالانصراف، وهذا عائد في رأي الشيخ الخولي إلى عدم اتصال البيئة المصرية بالمدرسة الشرقية الفلسفية في العراق والشام، فالبيئة المصرية بيئة أدبية فنية، وهو افتراض يرفضه عماد عبد اللطيف مؤكدا أن المصطلح اُستخدِم من قبل المشرقيين، والمصريين قبل ذلك بقرون، وهناك استبدالات أخرى للمصطلح، في بيئات جغرافية عديدة[١٠].

إنّ إشارة الشيخ أمين الخولي جاءت عرضا، وبشكل تعميمي، ولكنّها تفتح مجالا – على أصعدة أخرى – في قراءة الاختلافات بين البيئات الجغرافية في تكوين العلوم والمصطلحات من منظور ثقافي يراعي خصوصية كل بيئة ثقافيا، وكيف أن هذه الخصوصية تنعكس إيجابا على العلاقات البنيوية في العلم الواحد.

وعموما فإن القاعدة الاصطلاحية في العلوم تشير إلى أن المفهوم يولّد الحاجة إلى اللفظ/ المصطلح، وليس العكس، فالفعل التأسيسي للاصطلاح يسير في اتجاه واحد، ولكن البلاغة العربية في بعض نماذجها تقدم لنا طرحا معكوسا للقاعدة، يسير فعل التأسيس عكس اتجاه القاعدة لتصبح الحركة من المصطلح إلى المفهوم وهو ما أدى إلى خلخلة دلالاته[١١]. وهو ما ظهر من خلال تنازعات المصطلح في تطبيقات عديدة، مثلما فعل القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه، وكيف صاغ حكمه على ظاهرة بلاغية بصياغة فقهية، ما بين الجواز وعدم الجواز، وفصول بينهما دقيقة وغامضة، مغفلا في كل ذلك: أثر الالتفات في فاعلية الخطاب، وطرح سؤال لماذا على الشعر المستشهد به[١٢].

وتتمثل الإضافة العلمية في هذه الدراسة ؛ في سعي الباحث إلى تقديم إجراءات مقترحة لضبط البنية الاصطلاحية في التراث البلاغي، عبر تحديد الحقول المعرفية التي اهتمت بالمصطلح واشتغلت عليه، ويحصرها في خمسة حقول: علوم القرآن، وشروح الشعر ونقده، وعلوم اللغة وفقهها، والبلاغة العامة، ومعاجم المصطلحات. حيث تبدأ عملية التوثيق في المصطلح، من خلال: التوثيق لكل ما كتب عنه في الحقل المعرفي، ثم التجريد المصطلحي بفحص مدقق لسائر النصوص المتعلقة بالالتفات، لاستخراج الوحدات المصطلحية وما يرتبط بها من معلومات. ثم التقييد الدلالي للمصطلح بالاستناد إلى الواقع الوجودي له، والمفهوم/ التمثيل الفكري المعبر عنه رمزيا، والمصطلح ذاته وهو وكل وحدة لغوية دالة مفردة أو مركبة[١٣]. وذلك ما تم

تطبيقه في بقية الدراسة، بتحليل الخطاب البلاغي التراثي القديم، في تعامله مع أسلوب الالتفات، وتفحص أسباب التنازع في الاسم والمسمى، بهدف تقديم نواة لعمل سياقي تاريخي للبلاغة العربية(١٤).

وجاء التطبيق في ميادين عدة، تتصل بدور الالتفات واستخدامه، وهو ما يسمى بالوظيفة البلاغية، أي إنتاج الجمالية في النص، وقد تنازع البلاغيون الالتفات في علوم البلاغة، فقد نظر لعلم البديع إليه بصفته وظيفة جمالية عامة وهي تحسين الكلام وتطريته، أما علم المعاني فيُقصر وظيفته على دوره في إنتاج المعنى في سياقه النصي، بهدف مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهي وظيفة جمالية خاصة. وقد نبه الباحث لهشاشة هذا التنازع، مؤكدا أن الوظائف لا تعرف الثبات؛ لأنها خاضعة للوعي البلاغي الذي يدرسها وقدرته على اكتشاف وظائف متنوعة، ومتباينة للظاهرة الواحدة (١٥). متوصلا لمفهوم خاص بالوعي البلاغي، وعلاقته بالوظيفية الجمالية في التراث العربي، مطبقا إياه على الالتفات الذي لابد من دراسته من خلال تاريخ العلاقة بين اللغوي والأدبي، وتاريخ العلاقة بين الوظائف الجمالية العامة والوظائف الجمالية الخاصة(١٦).

وفي سبيل ذلك، قرأ الباحث حضور الالتفات في التراث البلاغي من خلال التفرقة بين النصوص التي جاء فيها، حيث رأى أن هناك نصين تشكّلا حول أسلوب الالتفات وهما: النص الشارح، النص التنظيري. فالنص الأول يتضمن المواد الشارحة والمفسرة والمعربة لنصوص شعرية ونثرية لها قيمتها المستقرة بلاغيا ويكون الالتفات فيه عرضيا مركزه سؤال العلة (سبب الوجود) ويحكمه مبدأ الجبر، أما النص الثاني فهو نص تنظيري تصنيفي، ناتج عن خطة مسبقة في عقل البلاغي مركزه القول ويحكمه مبدأ الاختيار(١٧). وهو تصنيف مهم في منظور تحليل الخطاب، فشتان بين وعيين: وعي العالم الشارح، ووعي المنظّر المقعّد، فالأول مجبر على التعامل مع الالتفات في النص

الذي يناقشه، والثاني غير مجبر، ولكنه يرصد الظاهرة ويؤطرها، ضمن ما يسمى بالتفكير المفهومي، الذي يقرؤها في أبعادها.

لقد قدمت هذه الدراسة ريادة في مجال البحث البلاغي في منظور تحليل الخطاب، عبر اشتباك الباحث مع سائر النصوص التي عنيت بالالتفات أسلوبا ومفاهيم، راصدا أن عدم اتساق مفاهيم البلاغة بنيويا، فليس بلاغة واحدة وإنما بلاغات متنوعة، بها علاقات تداخل وحوار، وصراع واختلاف. وعلى دارس الخطاب الوعي بذلك، بعدم التسليم بأحادية المفهوم أو الوظيفة. وكانت النقطة الأهم – من وجهة نظرنا – هي التنبيه على البعد الثقافي في الخطاب البلاغي، فالبلاغة العربية جزء داخل خطاب كلي، يختص بالخطاب الثقافي لعصورها المتتابعة، وعلى الباحث في التراث البلاغي الوعي باختلاف الخطابات الثقافية في كل عصر وسياقاته الخاصة، وعدم إسقاط الحاضر على الماضي، أو اتهامه بإغفال أمور حاضرة في ذهن الباحث (القناعات المسبقة)[١٨].

وقد شكّل الخطاب الديني – بوصفه الأساس في تشكل المفاهيم البلاغية – عاملا في التضخم الاصطلاحي للالتفات، وهذا عائد لكون الالتفات من الخصائص المائزة في النص القرآني، بينما انعدم تأثير الخطاب البلاغي الأرسطي في تكوين هذه الظاهرة[١٩].

وفي النهاية، انحصر النقاش في إطار دائرية المعرفة الإسلامية العربية، ومن ثم تكون المحصلة في المجمل النظر إلى التعدد المفهومي والاصطلاحي لأسلوب الالتفات دال على حيوية التداخل المعرفي في علوم البلاغة القديمة، ليدفع الباحثين المعاصرين إلى بحث إمكانية تكوين قاموس بلاغي مكتمل، خال من التنازعات المعرفية، يرسّخ المتفق عليه بين علماء البلاغة حول المفاهيم والمصطلحات المستقرة، متعاطيا بالإيجاب مع أوجه الاختلاف في التطبيق ما بين القرآن، والشعر، والمعجم، والنحو، والتعاطي الإيجابي يعني تصنيف جديد للنصوص والخطابات الشارحة والمفسرة والمؤطرة للمصطلح.

وربما كانت الدراسة السابقة سببا في إنتاج دراسة لاحقة عليها، فقد ناقش عماد عبد اللطيف في الدراسة السابقة الموروث البلاغي في منظور مناهج تحليل الخطاب المعاصرة، وأدرك من خلال دراسته الآنفة أن ثمة إشكاليات في التراث البلاغي، وأن أنماط البلاغة المنتجة في التراث العربي، لا تزال تقدّم لدارسي العربية بوصفها وعاء واحدا، لا غنى عنه لأي متعلم للعربية، وهي البلاغة التقليدية، التي يرى أنها منفصلة بشكل أو بآخر عن الواقع المعيش للخطاب البلاغي الجديد في حياة الناس اليومية وفي منتجي الخطاب الجديد. كما في بحثه "بلاغة المخاطب: البلاغة الغربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"[٢٠] وهو مشروع تنظيري، يؤكد من خلاله سعيه إلى تطوير الدراسات البلاغية العربية المعاصرة، عبر اقتراح تصنيف جديد لها. وتنطلق الإضافة العلمية في هذا المجال عبر قراءة واقع البلاغة العربية المقدمة للمتلقي العربي من خلال دراسة المعطيات اللغوية للخطاب المقدم، والسياقات والأنظمة المصاحبة له مثل الأنظمة السيميوطيقية (الصورة، الحركة، الإشارات، الموسيقى)، فهي خطابات بلاغية وبراغماتية في آن واحد، حيث تنزع إلى توصيل رسائل إخبارية وإقناعية، محملة بجماليات ومؤثرات، ويربطه بما يسميه "ظواهر بلاغية "، وهي: ظواهر لغوية (الأصوات، المفردات، التراكيب، المجازات)، ظواهر فوق لغوية (وسائل السرد والإقناع)، ظواهر سياقية (الزمان، المكان، الحدث، طبيعة المشاركين ووسائط الاتصال)، ظواهر سيميوطيقية غير لغوية (الموسيقى، الصوت، الحركة، الإشارات الجسمية)[٢١].

ويشدد عماد عبد اللطيف على أهمية النظر إلى الخطاب اللغوي السائد في مجتمع يقدس الكلمة، ويربطها بالخطاب القرآني في لغة كلاسيكية، ويستخدم لغة أخرى (فصيحة أو عامية) في خطابات عديدة يبثها أو يستقبلها، فهو يعيش في ازدواجية لغوية، مع الأخذ في الحسبان ضيق هامش الحريات والقضايا التي يحق الخوض فيها علانية، وهناك أيضا ظواهر بلاغية مستجدة

تتمثل في خطب الدعاة الجدد، والمناظرات والمحاورات التلفزيونية، وخطابات وسائل التواصل الاجتماعي وفن الكاريكاتير..، وكلها عظيمة التأثير[٢٢].

وفي سبيل تلك الرؤية، يقرأ باحثنا خطاب البلاغة العربية القديمة، مستحضرا مقولات عدد من العلماء المعاصرين، متوقفا عند آراء الشيخ أمين الخولي، فالبلاغة القديمة عند الأخير تأتي على دربين: المدرسة الكلامية المرتبطة بعلم الكلام وقواعد الجدل وهي تميل إلى الإقناع العقلي بالأدلة، والبراهين، والاستدلال، ويقل فيها جماليات القول. والمدرسة الأدبية وفيها يقل التقعيد وتزداد الشواهد الأدبية (شعر، ونثر، وحكمة..)، معتمدة على الذوق الأدبي وحاسة الجمال، والاهتمام بالتكوين الأدبي والتدريب على صناعة الكلام الجيد. وإن كان عماد عبد اللطيف يرى أن هذا تصنيف حدي، غير محدد القواعد والمفاهيم وإنما يميل للإطلاق[٢٣].

لذا فهو يقترح تصنيفا جديدا للبلاغة العربية، على أسس ثلاثة: المادة المختصة بالدرس البلاغي، الموضوع المعالج، الوظيفة المرتجاة من البحث البلاغي. وبناء على ذلك، يرى إمكانية تقسيم المباحث البلاغية إلى ثلاثة أقسام: البلاغة القرآنية وتتصل بكل ما جاء في القرآن من جماليات وعلاقتها بالتفسير، والبلاغة الأدبية المختصة بالأشكال الأدبية وأساليبها، والبلاغة الإنشائية الحاضرة في الحياة اليومية والتي تستهدف الإقناع والتأثير، ولابد من النظر في جمالياتها وأدواتها [٢٤]. ومن ثم يتطرق إلى المؤسسات الأكاديمية والبلاغة المقدمة بها، فالأزهر يحتفي بالبلاغة الأدبية ويدرسها بأنها تاريخ علم. وتختص الجامعات المدنية بالبلاغة الوافدة، مثل علم الأسلوبيات، وتنظر إلى البلاغة القديمة بوصفها علما بائدا أو سابقا، يمكن أن يدرس ولكن لا يتم إحياؤه من جديد[٢٥]. وبالطبع هذا رأي تعميمي، فمعلوم أن البلاغة الأدبية كانت تدرس في الجامعات المدنية كما هو الحال في كليات دار العلوم، وأن الدراسات الأسلوبية وما قاربها حضرت في مناهجها منذ عقود قليلة، وفي

المقابل فإن جامعة الأزهر شهدت تحديثا في الدراسات البلاغية، وتعاطت كثير من أقسامها بالإيجاب – مؤخرا – مع مناهج النقد الأسلوبي، والبنيوي.

ويتوقف الباحث عماد عبد اللطيف عند البلاغة الإنشائية، والمرتبطة في الأساس بكتاب مفتاح العلوم للسكاكي، ويرى أنه وضع أصولا، وقواعد بشكل مدرسي، تعين منشئ الكلام على تجويد خطابه وتزيينه، ومراعاة أحوال المتلقي، وكيفية التأثير عليه، وهو اتجاه يدعم سلطوية المتكلم، ويجعل المتلقي سلبيا، لأنها تتفنن في التأثير عليه، كما أن معايير الحكم على هذا اللون ترتبط بالمتكلم وتستبعد المخاطَب، لذا يقترح في هذا الصدد تطوير البلاغة الإنشائية، وإطلاق مصطلح " بلاغة المتكلم " عليها، ودراستها في ضوء أحوال المخاطبين، واستجاباتهم المتوقعة وطبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطب(٢٦). وهو ما فصّله بأن الهدف من الاقتراح رفض سلطوية المتكلم، وإعادة الاعتبار لدور المخاطَب، والاحتفاء بالبلاغة اليومية: فصحى كانت أو عامية، وسائر الخطابات الموجهة للمتلقي في حياته، فيما يسمى "بلاغة المخاطَب " ومادته الخطابة الجماهيرية ودراسة الكيفية التي تصاغ بها هذه الخطابات لتحقيق الإقناع والتأثير على المتلقي(٢٧). مع ضرورة الاستفادة من حقول معرفية عديدة منها التحليل النقدي للخطاب، والعلاقة بين الخطاب، والسلطة، والبلاغة النقدية، وطبيعة الخطاب البلاغي السلطوي والبلاغة التحررية(٢٨).

إنه مقترح مستمد من مدارس التلقي الحديثة، التي ترنو للقارئ/ المتلقي، وتعيد له الدور المفتقد في تكوين الرسالة، وصياغة بلاغتها. والباحث ساع في النظر المعتبر لبلاغة الخطابات المقدمة للمتلقي المعاصر، والاستفادة من المنجز البلاغي القديم والبناء عليه. وإن كنا نتحفظ على المصطلح ذاته "بلاغة المتكلم"، لأنه يتقاطع مع منشئي الخطاب الآخرين سواء في البلاغة الأدبية في سائر الأشكال الإبداعية، وكذلك مع البلاغة القرآنية ذاتها بالنظر إلى التفاسير الجديدة التي سلطت الضوء على مباحث قرآنية لم تأخذ حقها عند القدماء، على نحو ما نجد في كتاب "التصوير الفني في القرآن الكريم" للشهيد سيد

قطب، والدراسات الأكاديمية المعاصرة على القرآن، من الجانب الأسلوبي، والتي قرأت البلاغة القرآنية بمنهجية حديثة، احتوت جهود القدامى، وأضافت لها، خاصة عندما تعاملت مع النص القرآني من رؤية كلية وليست نظرات جزئية (مثل أبحاث بنية الترادف، التوكيد، الاستفهام في القرآن...). أيضا، لا نريد فصل "بلاغة المتكلم " عن الإبداعات الأدبية المعاصرة وبلاغتها على نحو ما نجد في الأغاني، والمسرحيات، والقصص، والمقالات، وكلها تمتاح من البلاغة القديمة، وتقدم أنماطا جديدة وجماليات مضافة. لذا، نفضل أن يكون المصطلح المستخدم هنا "البلاغة الجماهيرية" بديلا عن "بلاغة المتكلم"، فهو محدد، ومؤطر، ومرتبط بكل ما يقدم إلى الجماهير، وأيضا ينفتح على كل ما ينتج الجمهور من إبداعات.

وهناك إضافة عملية يقدمها الباحث في هذه الدراسة، تتصل بنقاط، /توصيات ثمانية ساقها الباحث من أجل توعية المخاطب/ المستقبل بأنماط الخطاب السلطوي، وكيفية تحرره منه، وإدراك أغراض المنشئ، وعدم السقوط في تضليله، وتطوير قدراته في إنتاج خطابات بلاغية أخرى موازية، ومقابلة للخطاب السلطوي[٢٩].

كما يقترح وجود حقل أكاديمي يعنى بدراسة الخطابات الجماهيرية، خاصة غير السلطوية، على صعيد أغراضها، ودوافعها، وأشكالها، وبلاغتها، والعلاقة بين الخطاب غير السلطوي، وخطاب السلطة، وأنواع منتج الخطاب (مثقف، مؤدلج، بسيط)، أو الخطاب ذاته (نصي، فعلي..)، والنظر إلى طبيعة الاستجابة للجماهير (لفظية/ غير لفظية، مباشرة/ غير مباشرة، خطابية/ غير خطابية)، وطبيعة العلاقة بين المتكلم وبين المخاطَبين (حاكم، داعية، مسؤول)[٣٠].

إنها دراسة فيها كم كبير من الخيال العلمي، والانفتاح على نظريات ما بعد الحداثة المتحررة من هيمنة السلطوية، والدوائر الثقافية المرتبطة بها، وما أنتجته من خطابات موجهة للجماهير، وهو طرح مهم للغاية للعقل العربي

المعاصر، الذي انبطح كثيرا تحت خطاب رموز السلطة، والمثقفين الدائرين في فلكها.

المحور الثاني: البلاغة الجديدة وواقع الخطاب السياسي:

وقد انطلق فيه من رؤية محورية، تنظر إلى الواقع المعيش: واقع الخطابات العامة التي يتعرض لها المواطن العربي في حياته المعيشة، سواء كانت خطابات دينية أو سياسية أو اجتماعية، وهي متراوحة بين العامية والفصحى، في مستويات مختلفة من الملفوظات، فهناك خطابات دينية تلتزم الفصحى، وهناك خطابات سياسية واجتماعية تتدرج في مفرداتها اللغوية، من الفصحى إلى العامية.

ويأتي كتابه "بلاغة الحرية"[٣١] لتؤرخ الخطابات المنطوقة إبان ثورة يناير في مصر، وكانت الرؤية مبدعة، حيث نظر الباحث إلى ساحة الوطن وما يعتمل فيها في السنوات التالية للثورة بأنها مثل " المسرح السياسي "، مقارنا بينه وبين الخطاب السلطوي الموجه لنظام مبارك، عبر صحفه وقنواته الحكومية، وأيضا التحكم في القنوات الخاصة التابعة لرجال الأعمال المرتبطين به، وبين الخطاب الشعبي والنخبوي بعد الثورة، حيث الانفتاح الهائل في قنوات التعبير، ومساحة الأحلام، وارتفاع سقف التطلعات، والطموح إلى الحريات الكاملة، والتمتع بحقوق المواطنة والاعتزاز بالوطن، وتحوّل أرض الوطن إلى أرض جاذبة حامية لأهلها، وليست طاردة للكفاءات الوطنية، لذا جاء هذا الكتاب راصدا ودارسا ومحللا لخطابات ما بعد الثورة، بكل ما فيها من آمال، وإحباطات، وتقلبات؛ بغية رسم خريطة لمسرح الخطاب السياسي، حيث يرى أن هناك خطابات ثلاثة تنازعت ساحة مسرح التواصل السياسي المصري أثناء الفترة الانتقالية، ودخلت في صراعات وتحالفات وأيضا مؤامرات. وأن هذه الخطابات ليست منطوقة أو مكتوبة فقط، بل تشمل أشكالا عديدة لها، مثل:

اللافتات، التسميات، الأيقونات، الفكاهات، الأغاني، الرسوم الجدارية، وغير ذلك من وسائل التعبير الثوري والسياسي[٣٢].

في ضوء ذلك، جاء تقسيم الكتاب على ثلاثة أقسام: خطاب الميادين، خطاب الشاشات، خطاب الصناديق. وهو تصنيف جديد، يحقق وجهة نظر المؤلف في رسم خريطة لخطاب ما بعد الثورة. فهو تقسيم على أساس مادي، أي بالنظر إلى طبيعة المادة الكائن فيها منتجو الخطاب، وسائر تأثيراتها على فحوى الخطاب نفسه، فما ردده الثوار في ميادين مصر الثورية، واتفاقهم على شعارات ومبادئ سامية في بداية أيام الثورة، يختلف عما ذكروه وعبّر عن توجهاتهم السياسية والفكرية في الشهور التي تلت الثورة، وفي جميع الأحوال فإن خطاب الميادين كان مختلفا في أشكاله: شعارات، أغان، جداريات، هتافات، لوحات.. إلخ.

أما خطاب الشاشات فيعني شاشات التلفاز، والتي جاءت معبرة عن توجهات عديدة، فالتلفزيون الحكومي مثلا كان معبرا عن سلطة مبارك، ثم المجلس العسكري لاحقا، وإن شهد مساحات أوسع بكثير عن ذي قبل في الحرية. أما القنوات الخاصة، فهي متراوحة ما بين قنوات تابعة لرجال أعمال مؤيدي نظام مبارك، وقنوات أنشأتها قوى الثورة والجماعات السياسية وعبرت عن زخم الثورة. وفي جميع الأحوال فإن خطاب الشاشات كان منطوقا مرئيا، متقلبا، خاضعا لتوجهات أصحاب القنوات، بعكس خطاب الميادين النابض بإحساس الجماهير ومطالبها. القسم الثالث: خطاب الصناديق الذي يعبر عن مرحلة الانتخابات التي كانت نتيجة طبيعية ومترتبة على المطالبة بالديمقراطية، وإعمال آلياتها، ومناقشة نواتجها.

ربما نلاحظ أن التصنيف السابق للكتاب، يحمل في طياته ودراساته التي شملها الكتاب، وتوزعت على فصوله نهجا واضحا، ربما لم يشر إليه المؤلف في مقدمته، ولكنه جلي واضح عندما نقرأ فصول الكتاب قراءة أفقية مسحية

تستهدف رصد المنهج، والوقوف على علاماته، ومعرفة إجراءاته، وأيضا آثاره.

فمنهج المؤلف في بنية كتابه، وتكوين نصوصه ؛ قائم على سمات عديدة:

أولها: التتابع الزمني: فإن الخطابات الثلاثة المتقدمة في تقسيمها تعبر في طياتها عن مراحل زمنية للثورة وصولا إلى الانتخابات، فخطاب الميادين يعبر زمنيا عن أولى أيام الثورة، وقد تبنى الباحث مقولة الربيع العربي، الذي يتوازى مع ثورات أخرى عمت العالم، وجعلها " متناصة " مع ثورات أخرى حديثة، مثل ربيع براغ وربيع بكين، وإن كان يرى أن مصطلح الثورات العربية وجد قبولا لدى أكبر شرائح الجماهير، لأن دلالة الربيع لدى العرب - رغم إيجابيتها - إلا أنها قصيرة في النهاية، ويعقبها صيف قائظ برياح رملية، وحرارة مرتفعة(٣٣). ولاشك أننا نتفق في إطلاق مصطلح " ثورة " على حركة الاحتجاجات الضخمة في أقطار العالم العربي، على الرغم من نتائجها المخيبة لآمال شعوبها، إلا أنها حملت رؤية واضحة ضد أنظمة متكلسة، متوارثة للسلطة والنفوذ، متحالفة مع رأس المال، قامعة للحريات. وإذا كانت النتيجة المرحلية المباشرة للثورات شهدت ردة وتراجعا، إلا أن بذورها لا تزال عالقة في التربة، لأنها ببساطة مطالبة إنسانية ضد أنظمة لم تقرأ التاريخ.

أما خطاب الشاشات فقد جاء متزامنا مع أحداث الثورة، حتى مرحلة الانتخابات، وقد قرأ باحثنا هذا الخطاب من خلال الخطب السياسية التي ألقاها "مبارك" إبان الثورة، أو ألقاها ممثلو المجلس العسكري أو حتى الرئيس محمد مرسي، فيما أسماها "مخاطبة الشعوب في منتصف الليل"، كما يرصد عبر مفردات الخطاب "نرجسية الأنا الفردية - بوصفها - مرآة للاستبداد"، وتبدلاتها ما بين" استراتيجية التهديد: وجه الرئيس المنقذ والخطاب الصارم "، أو "وجه الرئيس الأب واستراتيجية الاستعطاف"(٣٤). وهي بلا شك قارئة

تحليلية، لا تكتفي بالمضمون المطروح، وإنما تبحث فيما وراء المسطور، وتتأمل المنطوق، وتحلل الملامح.

أما خطاب الصناديق، فهو أحد نواتج إطلاق عملية التحول الديمقراطي، المتمثلة في انتخاب ما يريده الشعب، إلا أن الباحث يقرأ عمليات التصويت في ضوء طبيعة الناخب ورغباته وهو متوجه للاقتراع، حيث يصنف العملية إلى أنماط عديدة، وهي "تصويت العميان "الذي يتوجه فيه شرائح واسعة من الناس البسطاء للتصويت إلى فئة أو مرشح واحد على نحو ما نجد لدى مرشحي الحزب الوطني السابق، وهو يشابه بشكل ما "تصويت القطعان" الأكثر شيوعا بين المنتمين إلى كيانات سياسية أو جماعات عقدية، لا يتاح للأفراد فيها حرية التصرف في سلوكهم التصويتي. وهناك " تصويت الجوعان" المستفيد من الأعطيات، والرشاوى الانتخابية، أما "تصويت الغفلان" فهو لمن يصوت ليؤدي المهمة فحسب. وهناك " تصويت الغضبان" لمن يدلي بصوته وهو كاره، رافض لكل المرشحين، ويقابله " تصويت الخوفان" الذي يعطي صوته مقابل الأمن والاستقرار، أما التصويت الرشيد فهو القائم على "الاقتناع الذاتي"، وفهم أسس العملية الديمقراطية واختيار المرشح(٣٥).

وبالطبع فإن هذه الأنماط من التصويت متداخلة في معناها ومبناها بشكل كبير، فيمكن أن يكون المصوّت من العميان والقطعان وأيضا خوفان، فمشاعر الناخب وأفكاره متداخلة وأيضا متغيرة، ومن الصعب تصنيفها في خانة واحدة.

ومن ثم يقدم عماد عبد اللطيف قراءات لواقع ما تم في مرحلة الصناديق حيث يبحث كيف "تكلم مرشحو الرئاسة "، وملامح كل شخصية من خطابها ويبحث في أول مناظرة بين مرشحي الرئاسة، مسميا إياها " المناظرة باللكمات"(٣٦).

ثانيها: استراتيجية المقارنة: ونعني به: اعتماد باحثنا المقارنة نهجا وإجراءً في قراءاته وبحوثه، غير منحاز إلى فئة بعينها، أو تيارا بعينه، وإنما اجتهد كثيرا ليكون موضوعيا في الطرح والتحليل، لأن بغيته في كتابه هي الرصد والتحليل والتصنيف لكل المشهد الثوري في حقبة تاريخية من تاريخ مصر.

وفي سبيل ذلك، استحضر الباحث ما قبل ليوضح حالة الآن وما بعد، بمعنى أنه أشار وحلل خطابات ما قبل الثورة، والحالة السياسية والاجتماعية والفكرية للشعب، ومن ثم شرع في المقارنة بين المعلن والمنجز. فهو مثلا يرصد خطب "مبارك " منذ توليه السلطة عام ١٩٨١م، في مقال بعنوان "خطب مبارك في ثلاثين عاما: من شباب الوعد بالديمقراطية إلى شيخوخة الاستبداد"(٣٧)، وكيف أنه شرع في عمل مصالحة مجتمعية وعربية، مما أحدث ارتياحا وقبولا شعبيا، ثم تحوله في نهاية عهده إلى مستبد طاغ، ذاكرا أسماء كتّاب خطبه في بداية حكمه، ثم استعانته بآخرين في نهاية الحكم، وكيف تحولت خطبه من الإعلان عن الجديد للشعب إلى التغني بالذات، وتكرار نمطي لعبارات و " كليشيهات " محفوظة.

وأيضا كيف تم التلاعب بملف الأقباط، راصدا " ثوابت الملف القبطي وتحولاته "، وخطب الثورة المضادة، وكيف اعتمدوا على صحافة وقنوات ضد خطاب الثورة(٣٨).

ثم يتعرض لطبيعة خطب المرشحين للرئاسة، و "حروب الكلام في جولة إعادة الانتخابات الرئاسية"، متوقفا عند خطب الرئيس مرسي في أول إعلان له عشية الفوز بالانتخابات الرئاسية، وفي ميدان التحرير، وفي الكلية الحربية(٣٩) وغيرها.

ثالثها: أشكال الخطاب: ونعني به توقف الباحث عند مختلف أشكال الخطاب: الثوري وغير الثوري، الملفوظ والمرسوم، المرئي والمسموع والمكتوب،

مؤكدا أن "هذه الخطابات تم ترويجها وتوزيعها عبر كم كبير من وسائط الاتصال، لم يتسنّ لأية ثورة أخرى.. لقد كانت الثورة المصرية ثورة وسائط اتصال إلى حد كبير... نتجت عنها تجليات فنية بالغة الثراء، تمثلت على نحو جلي في أغاني الثورة، وأشعارها، ولوحاتها، ومسرحياتها، وقصصها، ومذكراتها، ورواياتها، ونكاتها"[٤٠].

وقد عدّ عماد عبد اللطيف المسيرات جزءا من خطاب الجماهير، فقد أدركوا أن دقة تنظيمها وكثافة حشدها وتوحّد خطابها يجعل لها كينونة مستقلة كما تصنع الجداول الصغيرة النهر الكبير. خاصة أنها ثورة بلا زعامة شخصانية واضحة، فالكل في بدايتها انخرط في كيان ثوري واحد، وحملت المسيرات لافتات مطعمة بشعارات الثورة، ورددت هتافات واحدة، مزلزلة، وغنّت أغاني من صنع أهل الميادين، وازدانت الجدران على الأجناب برسوم رائعة، بجانب الفكاهات المصاحبة لها[٤١]. فدراسة سائر أشكال التعبير الثوري مهمة جدا في تحليل الخطاب، لأنها هي الخطاب الفعلي، فلا يتصورن أحد أن الثورة فلسفة، وكتابات، وحركة جماهير على الأرض، الثورة كل واحد، في حركتها ومقولاتها فعلى الدارس ألا يحصرها في مظهر واحد، بل يقرأ ويدرس ويحلل كل الأشكال المصاحبة، بجانب الحوارات التلفزيونية، والتحليلات السياسية، ومفردات الخطب للثوار، والمرشحين.

رابعها: البلاغة الوليدة: والمقصود بها أن التعبير الثوري أوجد بلاغة جديدة، أي جماليات جديدة، فكما رأينا تعدد أشكال الخطاب، هناك جماليات في الخطاب ذاته. وهو كما يشير باحثنا بأن الخطاب الثوري في وسائطه العديدة" أوجد سببا إضافيا لتعقد أشكال الصراع بين البلاغة البائدة والبلاغة الوليدة، كما أتاح لخطاباتها السياسية فرص التداخل مع خطابات دينية واقتصادية واجتماعية، وعلمية"[٤٢].

لقد توقف باحثنا عند هذا، بل وعنوّن كتابه به "بلاغة الحرية"، متخطيا مفهوم البلاغة التقليدية إلى معطيات جديدة، لابد من رصدها، وتسميتها، وإيجاد مصطلحات لها، وأسماها في مقال خاص "بلاغة الميادين" مؤكدا أن "الثورات تلد بلاغاتها"، وموضحا أن النظام البائد أعطى الناس خطابا ممجوجا مرذولا مكررا في بلاغته، حين تستغل السلطة القائمة الكلمات المعسولة في التغني بمنجزات وأعمال مواقف لا تتحقق إلا على صفحات الورق أو في رنين الألفاظ"[٤٣]، وهذا ما يطلق عليه باحثنا "البطش اللغوي"، وهو أن تتشبع اللغة بالاستبداد، تنثر الوعيد، وتنجز العدوان، وتدعي امتلاك اليقين التام والحقيقة المطلقة، وما يقوله الآخرون هو الباطل الزائف والكذب الفج وما لا أساس له من الصحة [٤٤].

إنَّها ثورة ضد البلاغة التضليلية المستبدة المراوغة، لصالح تأسيس بلاغة صادقة تحررية، من خلال أشكال جديدة من الخطاب التي أنتجها الثوار، فالمسيرات تنطلق من المساجد أو النقابات أو المؤسسات التعليمية في دلالة رمزية، ثم تلتقي في الميادين، وكان ميدان التحرير بكل دلالته محورا للتجمع النهائي. أما الأيقونات فقد صُنعت في الثورة، وتمثلت في علامات أولها: أيقونات لغوية مثل هتافات ارحل والشعب يريد إسقاط النظام. وأيقونات مرئية إما في رسوم الجرافيتي أو صور البسالة للثوار أمام المدرعات أو التحية العسكرية للشهداء، وأنتجت الهتافات أيقونات صوتية كما في " سلمية.. سلمية "، وحملت اللافتات تنوعا أسلوبيا ثوريا، ما بين العامية والفصحى والإنجليزية، وهو ما يعكس التنوع الثقافي للمشاركين، وتعدد مستوياتهم اللغوية، وطرائق تعبيرهم، كما حضرت النزعة الفكاهية. ويتوقف الباحث عند مرحلتين من التشكيل الجمالي: مرحلة النفعية وتتمثل في الاهتمام بالمحتوى في اللافتة أو الأغنية. ثم مرحلة الاعتناء بالجماليات مثل الكاريكاتير، والفوتوغرافيا، والاشتغال على الجديد من اللغة، واللون، والصورة، أو

تشكيل اللافتة نفسها كأن تكون صندوقا أو مثلثا، يحمل على الرأس أو الكتف(٤٥).

كما يدرس ملامح تلفزيون أنس الفقي آخر وزير إعلام في عصر مبارك، وهو بصدد تحليل خطاب الشاشات، وموقفها من حركة الاحتجاجات والثورة ذاتها، مما أدى إلى فقدان التلفزيون الرسمي لرصيده لدى الناس، وتحولهم لقنوات أخرى(٤٦).

وكان الملمح الأبرز في هذه الدراسة تحليله لمشاهد محاكمة مبارك، ساخرا من وقائع المحاكمة، متوقفا أمام الخطب الرنانة الحاملة ميراث البلاغة التقليدية، في حين ترتعش العدالة أمام الزخرفة القولية، لتبقى في النهاية العدالة العارية من الكلام الموشي، أنصع وأبلغ من آلاف الصفحات والخطب الرنانة(٤٧).

كما عرج الباحث إلى دراسة الإيديولوجيا في الخطابات المقدمة، والتي تميزت بوضوح في مرحلة خطاب الصناديق، حيث معارك الانتخابات، والتحصن بالجماهير المؤدلجة والمؤيدة لكل فئة أو تيار. ونلحظ أنّ هذا كان غائبا في الأيام الأولى من الثورة، حيث التكتل الجماهيري وتوحد الخطاب في أوج صوره.

يمكن القول إن كتاب بلاغة الحرية يقدم نموذجا للبلاغة الجديدة، المؤسسة على رؤى وأحلام وتطلعات جماهير الشعب، التي ناضلت وجاهدت وضحت، قولا، وفعلا، وحركة، كما يبين هذا الكتاب احتضان مختلف أشكال التعبير، والارتفاع فوق مستوى البلاغة التقليدية في المنثور والمشعور، والاحتفاء بكل ما يعبر عن الذات، أيا كانت لغته. الكتاب يصف، ويحلل، ولم يقدم أية ملاحق أو وثائق، فأحداث الثورة تختزنها النفوس، وما نخشاه أن يأتي جيل يجهل تلك الثورة وبلاغتها.

ولكنني أرى أن البلاغة الجديدة كانت في حاجة إلى مزيد من تحديد المفاهيم وصياغة مصطلحات تعبر عنها، وعدم الاكتفاء بتوصيف الظاهرة،

ورصد أبعادها، بأن يتم نحت مصطلحات جديدة تعبر عن المنجز البلاغي الهائل الذي ظهر إبّان الثورة، بتحديد مصطلحات للأيقونات الثورية، وبلاغة الفكاهة، وبلاغة الخطاب الثوري الجديد التي انسالت على ألسنة خطباء الثورة، لتفترق عن بلاغة الاستبداد.

هذا، ويشكل كتاب "الخطابة السياسية في العصر الحديث: المؤلف، الوسيط، الجمهور"(٤٨) امتدادا لكتاب بلاغة الحرية، وفيه تعميق واضح لمسيرة الباحث بصدر دراسة الخطب السياسية تحديدا: آلياتها، وبلاغتها، وسبل تحليلها.

وتتمثل الإضافة العلمية - في هذا الكتاب - في انفتاح الباحث على مختلف أشكال الخطب منذ القدم إلى عصرنا، وهو لا يتوقف هنا عند ملقي الخطبة السياسية، وإنما يتماس مع الجمهور المستقبل، متعاطيا بالإيجاب مع نظريات التلقي المعنية باستجابة الجمهور، وكيف أن الخطابة تظل حية ما دامت البشرية في حاجة إليها، خاصة في التجارب الديمقراطية، وفي عصر الشابكة والسماوات المفتوحة. جاء الكتاب متناولا أشكال الخطب وتأثيراتها، من منظور علم الاتصال، حيث تطرق إلى الجوانب الثلاثة الحاكمة في إنتاج الخطبة السياسية: مؤلف الخطبة / منشئها / منتجها، والجمهور المتلقي وكيف أنه يحدد طبيعة الرسالة المصاغة، ودور الوسيط أيا كان. وهذا ما قام الباحث بتنظيره في الفصل الأول متتبعا وسائط نقل الخطبة السياسية من "الصحيفة إلى اليوتيوب"(٤٩)، ويدرس الفصل الثاني نماذج للخطب السياسية، متخذا من خطب أوباما الموجهة للعالم الإسلامي نموذجا على مستوى صياغة المفردة، وأبعاد التأثير، فهو فصل تطبيقي، يتعلق بدراسة دور المتلقين في صياغة الرسالة، ويأتي الفصل الثالث متناولا قضية مغفلة لدى كثير من الباحثين في تحليل الخطاب، الذين يكتفون بتحليل المنطوق، متناسين الشخصيات صانعة خطب الرؤساء والزعماء السياسيين، فيما سمّاه باحثنا "معضلة الكاتب الخفي"(٥٠)، مدشنا درسا جديدا في تحليل الخطب وهو التوقف عند الجهات/

الشخصيات المنوط بها كتابة الخطب، وأيضا مراجعتها بشكل دقيق، خاصة خطب المسؤولين ورؤساء الدول. وينتهي الكتاب بنماذج تحليلية من أنماط من الخطب السياسية، لتكون مرشدة تطبيقية لغيرها من الدراسات في هذا المجال.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى جهود عماد عبد اللطيف في حقل الترجمة، والتي تغذي هذا الرافد المعرفي الجديد، كما في ترجمته (بالاشتراك) لكتاب "الاستعارة في الخطاب"[٥١] وفيه رصد لأشكال الاستعارة في الأشكال الأدبية الحديثة، وعلاقتها بالإيديولوجيا والسياسة، ودورها في الإقناع، من خلال نماذج تطبيقية حديثة، تتصل بخطب توني بلير رئيس وزراء بريطانيا السابق، وتواجد الاستعارة في الإعلان والمدونات الإلكترونية والنصوص التعليمية وغيرها[٥٢].

وهذا تأصيل لطروحاته المتعددة المتعلقة بأهمية إخضاع سائر الخطابات المعاصرة للدراسة الجمالية، بهدف رصد أوجه بلاغتها، وأبرز ملامحها. والكتاب السابق في هذا التوجه، فلا معنى لدراسات بلاغية تركز على نصوص قديمة بتعريفات ورؤى متوارثة، مهملة/ متغاضية عن الإبداع الجديد المتجلي في عشرات الأشكال والوسائط. والجديد الذي تطرحه هذه الدراسة أنها تقرأ الاستعارة ضمن تقاطعاتها في علوم: الأدب، والفلسفة، وعلم النفس، والاجتماع، والسياسة والقانون، وعلوم الاتصال؛ مصحوبة بتطور كبير في منهجيات دراستها. فالاستعارة ليست زينة أو زخرفا في الكلام، وليست حكرا على النصوص الأدبية، وإنما أداة أساسية لفهم العالم، والتفكير فيه والتحدث عنه، فالعقل الإنساني يتشكل بدرجة أساسية عبر الاستعارة، وأن الاستعارات تعبر بشكل شفاف عن رؤيتنا للعالم[٥٣]، وهناك نظريات عديدة معاصرة مثل نظرية المزج الاستعاري، ونظرية المفاهيم الاستعارية.

ويقر الباحث - في مقدمته للكتاب - بأنه استفاد من مباحث الاستعارة ومفاهيمها الواردة في الكتاب خلال إعداده لرسالته للدكتوراه عن خطب

الرئيس السادات، وقد ناقش المؤلفة في كتابها وهو لا يزال مخطوطا، ورأى أن الاستعارة مهمة في دراسة أساليب الخطاب، ولها الدور كبير في صياغة الكلام، بعيدا عن التقليدية، فكلما تغيرت الاستعارات المستخدمة في خطاباتنا، تغيرت بالتبعة نظرتنا إلى العالم حولنا، بل أعدنا فهم العالم بشكل جديد، وقدمناه إلى المتلقين وفق تصوراتنا الجديدة (٥٤).

وهذا يقودنا إلى مفهوم الحقل المعرفي للاستعارة، والذي يعني البحث في مصادر مفردات الاستعارة ومكوناتها، فابن البيئة الزراعية ينحت استعارته من النباتات والطبيعة من حوله، والأمر ينصرف أيضا إلى العلماء الذين ينتمون لحقول معرفية متعددة، ويستخدمون استعارات وفق معارفهم ودرايتهم بهذا الحقل. مع الانتباه أن طريقة استخدام الاستعارة يعني نقلها إلى معنى مجازي لغايات جمالية و اتصالية، فالبعض قد يستخدم مفردات أو تراكيب ويرى أنها استعارات وهي معان حقيقية وليست مجازية، مع السعي إلى الابتكارية والتجديد في الاستخدام الدلالي، فكثير من التعبيرات الاستعارية صارت ممجوجة واقتربت من القاموس المتداول بفعل كثرة الاستخدام(٥٥)وكل هذا يتوقف على وعي منشئ الخطاب بمفردات وجماليات خطابه. وهذا سمت أصيل في مناهج تحليل الخطاب، فبحث الاستعارات المبثوثة في ثنايا الكلام يجعلنا نقف على مستوى التفكير والابتكارية ومدى عمق الرؤية لدى منشئ الكلام، وهذا أدعى في دراسة بلاغة الخطاب السياسي بشكل أدق.

فضلا عن أنّه يركّز الضوء في السمات الأسلوبية في الخطاب السياسي حتى وإن كان هناك أشخاص يقومون بصياغة الخطاب للزعيم/ الرئيس، فإن تحليل الخطاب أسلوبيا واستعاريا يجعلنا نستشف فكر ملقي الخطاب، وصانعي السياسة من حوله.

أما إذا تأملنا بشكل أوسع إبداع الجمهور في ضوء الاستعارة المفهومية فإننا سنتعرف ميولهم وما يرومونه وطريقة تفكيرهم، فتكوين الاستعارة يعبر

عن تصورات الجمهور لوطنهم والعالم من حولهم، ورؤيتهم للقضايا المطروحة، والمستجدة في حياتهم.

المحور الثالث: بلاغة الجمهور واستجابته النقدية:

وهو محور يتصل بفن الاستجابة الجماهيرية لما يقدم لها من خطابات، وقد أولى عماد عبد اللطيف هذا المحور الكثير من العناية، لأنه يمثل الوجه الآخر من مشروعه في تحليل الخطاب عامة، والخطاب السلطوي الموجه لعموم الشعب خاصة، فيبحث في كيفية استقبال الجمهور وتفاعله مع الخطابات المختلفة.

ويحضر هنا كتابه "لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن"(٥٦)، ليكون دراسة رائدة، تتجاوز أشكال الدراسات البلاغية التقليدية، وتتوجه إلى ردود الفعل الحركية الإشارية الممثلة في التصفيق. لقد توقف الباحث عند هذا السلوك بوصفه رد فعل مباشر لأحداث، وقرارات، وخطابات وفنون مقدمة في محافل للجماهير. إنه سلوك جماعي وفردي يعبر عن استجابات ومشاعر.

ويركز الكتاب في التصفيق الجماعي في المجتمع المصري المعاصر، في سياقات التواصل الجماهيرية المختلفة التي يوجد بها الجمهور مثل الخطابة السياسية والحفلات الغنائية، والمسرحية، والندوات..، والآثار المترتبة عليه، وعلاقته بظواهر أخرى مصاحبة مثل: الهتاف، والتكبير، والتهليل، والزغاريد، والأشعار(٥٧). وهو ما رصده الباحث في الحفلات الموسيقية النخبوية أو الشعبية، فقد حضر التصفيق بوصفه إيقاعا نغميا ضابطا، معبرا عن الاستحسان أو الاستزادة أو التكرار(٥٨).

فالتصفيق "ممارسة ثقافية...وشعيرة تواصلية في كثير من أشكال التواصل الجماهيري"(٥٩) فالجمهور لا يجد أمامه إلا التصفيق للتعبير عن فرحه وتأييده في مواطن التجمعات الكبرى، وإظهار موقفه استحسانا بشدة التصفيق

وهو مقياس مباشر لمعرفة درجات التفاعل أو رفضا بالامتناع عنه أو بالتصفيق البارد من قلة[٦٠].

وهناك أنواع كثيرة من التصفيق وسنذكره على وجهيها المتقابلين: فهناك التصفيق الحر أو الإجباري، التصفيق التلقائي والتصفيق المعد سلفا، التصفيق المجاني والتصفيق المأجور، التصفيق المتصاعد والتصفيق البطيء. ومن حيث وظائفه هناك تصفيق طلبي أو استحساني، والتصفيق المعبر عن غضب، والتصفيق النفعي، والتصفيق الرمزي، والتصفيق الجنائزي، والتصفيق للتعجب والتأسي، والتصفيق والسحر، والمقصود بالأخير حركات التصفيق في القصص الشعبي مثل حكاية علي بابا، ومصباح علاء الدين وغيرها[٦١].

وتتم معالجة التصفيق في علاقته بالسياق السياسي، ويتوقف الباحث عند محددات التصفيق في الخطابات السياسية، فهناك أوقات معينة يكون فيها التصفيق مطلوبا، خاصة في خطب الزعماء السياسيين، وهو مرتبط بالمعاني التي يبثها الخطيب في خطبه، وما يرتبط من إعلان قرارات، أو حوافز، أو مشروعات. وفي السياق السياسي المصري، ارتبط التصفيق باحتفاليات يحضرها رئيس الجمهورية، وهناك من يحفز الناس على التصفيق، والتهليل، والذي يتخلله هتافات، ومديح، وأشعار، تقال بالاتفاق في مواضع معينة من الخطاب، وتنصب على ذات الرئيس[٦٢].

ويكون الهتاف بشعارات صاخبة، أو بشعر موزون مقفى خلال إلقاء الرئيس لخطابه، وتجد ثناء وشكرا من الرئيس مباشرة، ويصمت حتى ينتهي المادح أو "الهتّيف " من وصلته، ويكون تجاوب الجمهور من خلال تصفيق حاد [٦٣].

أما ارتباطها بالفكاهة، فهو ينصب على المداعبات التي يقولها الرئيس للجمهور، من باب الخروج على المألوف، وتشويقه للمزيد في الخطاب، وأحيانا يتجاوب الجمهور معها ويضحك، وأحيانا يكون محدودا من قبل المسؤولين فقط[٦٤].

وجاء الجانب التطبيقي في الدراسة باستعراض نماذج لخطب رؤساء مصر، ابتداء من محمد نجيب إلى زمن مبارك، عن طريق نماذج لبعض خطبهم، وقد عاد في ذلك إلى تسجيلات إذاعية ومرئية من أجل التوثيق من رد فعل الجمهور وكيف استقبل خطاب الرئيس، وتفاعل معه بالتصفيق. ومن ثمَّ رصد أوقات صمت الرئيس المرتب، وكيف تلاءمت مع التصفيق من الجمهور، وكم كان موفقا عندما وضع مربعات فيها مواقف الدعابة والخروج على النص المكتوب، وما يرتجله الرئيس من تعليقات أو دعابات أو هجوم محددا بالثواني تفاعل الحضور(٦٥) أيضا، يضاف للتصفيق مهمتين أخريين: التحريض السياسي، حيث يتبارى المسؤولون الحكوميون للتصفيق الحار متجاوبين مع الرئيس في الهجوم على شخص أو رئيس دولة أو دولة ما، وهناك التصفيق بوصفه فخا، عندما يتجاوب الجمهور مع الرئيس في قرارات خطيرة، ويكون تصفيقهم تشجيعا له على المضي(٦٦).

لاشك أنّ هذه الدراسة جديدة في بابها، وقد حرص الباحث أن يؤسس التصفيق بوصفه سلوكا جماعيا أو فرديا، واستجابة آنية. ولكن الملاحظ أن الباحث حصر النماذج التطبيقية في الجانب الرسمي في الحياة السياسية، والمتمثل في خطب رؤساء مصر، وهو جانب مهم، لاسيّما أن الباحث حلل المواقف المصطنعة التي صفق الجمهور وهلل فيها للرئيس، وكثير منها فخاخ أو تحريض، وتستهدف إعطاء بطولة زائفة لشخص الرئيس، وليس التغني بإنجازات حقيقية. كما أن الجمهور الحاضر في مثل هذه الخطب مؤلف من المسؤولين الرسميين وأنصار الحزب الحاكم، وبعض عملاء الأمن، ويغيب عنهم في كثير من الأحيان شرائح الشعب البسيطة أو الجمهور العام، الذي إن أراد الاستماع إلى رئيسه فإنه يلجأ إلى الإذاعة أو التلفاز. وفي المقابل نأى الباحث في ذلك الجانب الآخر من الحياة السياسية وهو جانب المعارضة، فكثير من مؤتمرات المعارضة وجدت احتشادا من الجماهير، واحتفاء حميميا

بالخطباء، والزعماء، وكان التصفيق حاضرا، وحارا، لأنه يعبر عن جمهور محب، ومتعلق بهؤلاء.

وقد أغفل الباحث مرحلة الملكية، وكانت هناك حياة ديمقراطية (وإن كانت محدودة وعليها مآخذ كثيرة)، وظهر فيها كثير من الزعامات، والقيادات السياسية، التي وجدت التفافا شعبيا حولها، وتأييدا من شرائح واسعة، وكانت الجماهير تحضر بمحض إرادتها بأعداد غفيرة، وتحدثنا المصادر التاريخية عن شعبية طاغية لسعد زغلول، ومصطفى النحاس، ومكرم عبيد وهؤلاء من حزب الوفد، وحسن البنا زعيم الإخوان المسلمين، وأحمد حسين زعيم حركة مصر الفتاة وغيرهم من الشخصيات المستقلة ذات الشعبية الكبيرة.

فمن مآسي حقبة ما بعد ثورة ١٩٥٢م؛ تأميم الحياة السياسية وإلغاء الأحزاب فيما يسمى إقامة النظام الشمولي، وإن تخفف الأمر قليلا في حقبة السادات، ثم في وجود ديمقراطية كرتونية في حقبة مبارك، مما أدى لخنق المواهب السياسية.

الشاهد في الأمر هنا، أن الكتاب يقتصر على الخطب الرسمية، وهو نموذج عليه تحفظات كثيرة، من جهة شخص الخطيب أو الجمهور الحاضر، أما التصفيق الحقيقي والصادق فهو في مناسبات ومع شخصيات أخرى من المهم التعرف عليها.

وفي دراسته المعنونة بـ" من الوعي إلى الفعل: مقاربة معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي"[٦٧]. يتطرق إلى وعي جديد يجب على المتلقي إدراكه والتسلح به، ألا وهو التحليل النقدي للخطاب، وهو جزء من مشروع بلاغي واسع يضطلع باحثنا به، ويستهدف أن يمتلك المتلقي القدرة على مقاومة الخطابات السلطوية، وعدم السقوط في براثن تضليلها. ويتطرق في ذلك إلى مصطلحات أربعة مرتبطة: التحليل الناقد للخطاب، البلاغة الناقدة، الكلام المضاد، بلاغة المخاطَب[٦٨].

والجامع بين هذه المصطلحات هو مفهوم مشترك ألا وهو كيف يكون لديك الوعي النقدي إزاء خطابات السلطة للنجاة من فخاخها، فالتحليل الناقد للخطاب هو مقاربة لمقاومة الخطاب السلطوي، وتتشابك معه كثير من المفاهيم مثل: الإيديولوجيا والهيمنة، والتاريخ، والطبقة، والنوع..، كما يوفر تراثا متصلا من التحليلات التي تربط اللغوي بالاجتماعي في سياقات تاريخية واجتماعية متباينة، كما يقدم معرفة بكيفية تكوين ظواهر لغوية معينة من قبل السلطة أو تدعمها(٦٩).

كما يطرح كيفية الرد عليها بلاغيا فيما يسميه عن طريق البلاغة الناقدة والتي تعني انتقال الدراسة البلاغية من دراسة إنشاء الخطاب السياسي إلى دراسة نقده، ويستند إلى ردود الفعل المختلفة في خطاباتها نحو الخطاب السياسي، والذي يبدو في المقالات الصحفية والبرامج الإذاعية والتلفازية، والتي تساهم في تشكيل التلقي الشعبي. كما تناقش مسألة هيمنة الخطاب السلطوي، وسبل التحرر منه(٧٠).

أما مصطلح "الكلام المضاد " فهو يشير إلى الخطاب المضاد للقيم العنصرية والتمييز العرقي، والديني، والفئوي، ويستهدف تقوية حالة الصمت التي يبغي خطاب المقت ترسيخها لدى فاقدي السلطة/ المهمشين والبسطاء، ويجعلهم إيجابيين في الرد على مثل هذه الشعارات المقوضة للقيم الإنسانية والمبادئ السامية(٧١).

أما بلاغة المخاطب، فتتشمل في رد الفعل، والتغذية الراجعة والخطابات المتزامنة مع الخطاب السلطوي، وتعبر عن تلقي الجمهور لهذا الخطاب وأوجه تفاعله معه، ومن شأن هذا الخطاب أن يبصر صانع الخطاب السلطة لمكامن الخلل، ويراعي حاجات المتلقين وردود أفعالهم ووعيهم، ويبتكر طرقا جديدة لإقناعهم(٧٢).

وذلك هو الهدف الأساسي من الدراسة، بل من مشروع عماد عبد اللطيف نفسه، ألا وهو تطوير قدرة المخاطب على إنتاج بلاغة مضادة

واستجابات معارضة لخطاب السلطة، وإلغاء سيطرة المتكلم بالوعي الناقد، وإدراك الأغراض التي يسعى الخطاب السلطوي وغيره من أشكال الخطابات المهيمنة، وتعريفه بطرق التضليل(٧٣)

خاتمة:

يمكن أن نصل في ختام هذا البحث إلى جملة نتائج:

- إنّ مشروع عماد عبد اللطيف كل مترابط منذ مبتدئه إلى يومنا، في تكاملية معرفية وعلمية، وجهود طامحة لأهداف معينة، وقد تخلص من سلبية يقع فيها كثير من الباحثين وهي تشتت الرؤى والعطاءات، كمن يأخذ من كل منهج بطرف، ويلامس بعضا من التطبيقات دون إخلاص لمسار بعينه.
- إنّ إنتاج عماد عبد اللطيف العلمي متنوع ما بين التنظير، والتطبيق، والترجمة، والتعاطي الإيجابي مع سائر الخطابات: القديمة والحديثة، المدونة والشفاهية، بجانب دراساته لأشكال التلقي السلوكي، والإشاري والسيميائي.
- للمشروع غايات تعليمية وتربوية وبراجماتية، يمكن ترجمتها في آليات وإجراءات توعوية وتدريبية، ويمكن للباحث أن يحقق ذلك في كتب مفصلة، حول كيفية التلقي الواعي للخطابات المهيمنة ومواجهة الزيف والتضليل الإعلامي، وفن إنتاج خطاب مضاد بجماليات وبلاغة جديدة.
- لا تزال هناك جوانب عديدة في المشروع، يمكن البناء عليها من قبل الباحث وغيره من الباحثين، مثل صياغة مصطلحات جديدة لبلاغة الجمهور، بدلا من استخدام مصطلحات قديمة ذات حمولات دلالية سلبية أو مغايرة. وأيضا التركيز على التصنيف الجمالي لأشكال الخطاب الجماهيري الجديد.

هوامش البحث:

(١) تحليل الخطاب البلاغي: دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف، دار كنوز المعرفة العلمية، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص٣٩.

(٢) السابق، ص١٠.

(٣) تحليل الخطاب، ج. ب.براون، ج. يول، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطني، د.منير التريكي، وحدة النشر العلمي بجامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م، من مقدمة المترجمين، ص: هـ، و.

(٤) المرجع السابق، ص: ك، مقدمة مؤلفي الكتاب.

(٥) السابق، ص٣٦ .

(٦) السابق، ص٤٧ .

(٧) تحليل الخطاب البلاغي، ص١٨، ١٩ .

(٨) السابق، ص١٩ – ٢٥ .

(٩) السابق، ص٢٥-٢٧ .

(١٠) السابق، ص٤٢، ٤٣ .

(١١) السابق، ص٤٠، ٤١ .

(١٢) السابق، ص١٦٩-١٧١.

(١٣) السابق، ص٤٤، ٤٥ .

(١٤) السابق، ص٢٧٩ .

(١٥) السابق، ص٩٢-٩٤.

(١٦) السابق، ص٩٧ .

(١٧) السابق، ص٢٣٩، ٢٤٦ .

(١٨) السابق، ص٢٨١، ٢٨٢.

(١٩) السابق، ص٢٨٢، ٢٨٣ .

(٢٠) بلاغة المخاطب: البلاغة الغربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر " Power and The role of the Intellectual " قسم اللغة الإنجليزية، بكلية الآداب، جامعة القاهرة، نوفمبر ٢٠٠٥، منشورات: ٢٠٠٦ م.

(٢١) السابق، ص١٩.
(٢٢) السابق، ص٨ .
(٢٣) السابق، ص٩ .
(٢٤) السابق، ص١٠ .
(٢٥) السابق، ص١١ .
(٢٦) السابق، ص١٣، ١٤ .
(٢٧) السابق، ص١٦ .
(٢٨) السابق، ص٢٠ .
(٢٩) السابق، ص٢٢.
(٣٠) السابق، ص٢٣.
(٣١) بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، عماد عبد اللطيف، دار التنوير، القاهرة – بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
(٣٢) السابق، ص١٥ .
(٣٣) السابق، ص٤٦ .
(٣٤) السابق، الصفحات: ١٠٤، ١٠٩-١١٣ .
(٣٥) السابق، ص١٦٧ -١٧١ .
(٣٦) السابق، ص١٩٢، ٢٠٣.
(٣٧) السابق، ص٩٥ .
(٣٨) السابق، ص١٣٠، وأيضا: ص١٣٩.
(٣٩) السابق، الصفحات: ٢١٠، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢٦ .
(٤٠) السابق، ص٢٦ .
(٤١) السابق، الصفحات: ٢٨، ٣٠، ٣٦، ٤١، ٤٧.
(٤٢) السابق، ص٢٦.
(٤٣) السابق، ص٢٣ .
(٤٤) السابق، ص٢٤ .
(٤٥) السابق، ص٣٢-٤٠ .

(٤٦) السابق، ص١٢٢، ١٢٣.

(٤٧) السابق، ص١٤٦ .

(٤٨) الخطابة السياسية في العصر الحديث، د. عماد عبد اللطيف، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٥م.

(٤٩) السابق، ص١٥ وما بعدها.

(٥٠) السابق، ص٨٧.

(٥١) الاستعارة في الخطاب، إيلينا سيمينو، ترجمة: د.عماد عبد اللطيف، د.خالد توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م .

(٥٢) السابق، فصل استخدام الاستعارة في السياسة، ص١٨٧ وما بعدها.

(٥٣) السابق، ص١٠، ١١.

(٥٤) السابق، ص١٥ . راجع الفصل الرابع من كتابه: " استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي: خطب الرئيس السادات نموذجا "، د. عماد عبد اللطيف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠١٢م ، وفيه إشارة إلى أبرز الاستعارات التي ساقها السادات في خطبه مثل: العائلة المصرية، والاستعارات ذات المرجعية الدينية، والريفية. وقد ركز الباحث على كيفية دراسة الاستعارات ووظائفها وسياقات إنتاجها.

(٥٥) السابق، ص٤٤١.

(٥٦) لماذا يصفق المصريون ؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، د. عماد عبد اللطيف، دار العين للنشر، ط١، ٢٠٠٩م.

(٥٧) السابق، ص٢٠.

(٥٨) السابق، ص٧١ – ٧٦ .

(٥٩) السابق، ص١٥.

(٦٠) السابق، ص١٧ .

(٦١) السابق، ص٢٩-٤٣.

(٦٢) السابق، ص١١٦-١٢٣.

(٦٣) السابق، ص٢١٦- ٢١٩ .

(٦٤) السابق، ص١٥٢، ١٥٣.

(٦٥) السابق، ١٧٠- ١٧٥ .

(٦٦) السابق، ص٢٠٢-٢٠٤ .

(٦٧) من الوعي إلى الفعل: مقاربة معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي، عماد عبد اللطيف، منشور ضمن أعمال ندوة " علاقات الخطاب بالسلطة "، قسم اللغة الفرنسية، جامعة القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٦م.

(٦٨) السابق، ص٥٦٨ .

(٦٩) السابق، ص٥٧٢ .

(٧٠) السابق، ص٥٧٣.

(٧١) السابق، ص٥٧٥ .

(٧٢) السابق، ص٥٧٨ .

(٧٣) السابق، ص٥٨٠ .

المصادر والمراجع:

أولا: الكتب:

١. استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي: خطب الرئيس السادات نموذجا "، د. عماد عبد اللطيف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠١٢م.

٢. بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، د.عماد عبد اللطيف، دار التنوير، القاهرة – بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٣. تحليل الخطاب، ج. ب.براون، ج. يول، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطني، د.منير التريكي، وحدة النشر العلمي بجامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م.

٤. تحليل الخطاب البلاغي: دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف، عماد عبد اللطيف، دار كنوز المعرفة العلمية، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

٥. الخطابة السياسية في العصر الحديث، د. عماد عبد اللطيف، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٥م.

٦. لماذا يصفق المصريون ؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، د. عماد عبد اللطيف، دار العين للنشر، ط١، ٢٠٠٩م.

ثانيا: المؤتمرات:

١. بلاغة المخاطب: البلاغة الغربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، عماد عبد اللطيف، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر " Power and The role of the Intellectual " قسم اللغة الإنجليزية، بكلية الآداب، جامعة القاهرة، نوفمبر ٢٠٠٥، منشورات: ٢٠٠٦ م.

٢. من الوعي إلى الفعل: مقاربة معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي، عماد عبد اللطيف، منشور ضمن أعمال ندوة " علاقات الخطاب بالسلطة "، قسم اللغة الفرنسية، جامعة القاهرة،أكتوبر ٢٠٠٦م.